

ضرورة وأهمية تحديد المفاهيم في العلوم الاجتماعية و الانسانية

اعداد : ا.د عمر لعويرة

أن المفاهيم و الرموز والمصطلحات في مجال العلوم الطبيعية تنسم غالبا بالثبات والحصص والوضوح، فإن الأمر في العلوم الاجتماعية على خلاف ذلك. فالعلوم الاجتماعية تعج بالعديد من المفاهيم والمصطلحات التي تتباين، وتعدد التعريفات والتصورات التي تعطى لها باختلاف المواقع الأيديولوجية والمذاهب السياسية، والمدارس الفكرية. فالمفهوم الواحد يكون له أكثر من تعريف، الأمر الذي يخلق الفوضى والاضطراب أحيانا في البحث الاجتماعي.

إن المفهوم (**concept**) الذي هو أساس لغة التعامل الإنساني ووسيلة الإنسان للتعبير عن أفكار وحالات وأوضاع محدّدة، يكتسي أهمية قصوى في عملية البحث الاجتماعي، فعن طريق هذا التحديد يمكن للباحث أن يحصص المعلومات التي عليه جمعها، ويمكن أيضا للقارئ منذ البداية أن يعرف ماذا يقصد الباحث بهذا المفهوم أو ذلك. ذلك أن العديد من المفاهيم - كما ذكرنا - قد يكون لها أكثر من معنى أو يُعطى لها تفسيرات مختلفة، مثلا مفاهيم الحرية أو الديمقراطية أو حقوق الإنسان في المجتمعات الديمقراطية لها دلالة تختلف عما هو موجود في المجتمعات ذات الحزب الواحد والأنظمة الديكتاتورية، ومفهوم البغاء في المجتمعات الإسلامية ليس له نفس الدلالة في المجتمعات غير الإسلامية، الخ. **1.**

ويرى بوتومور أن المفاهيم تستخدم الآن «بمعان مختلفة.. والمفاهيم العديدة لم يتم ربطها، وتحقيق التكامل بينها عن طريق الوصف أو التفسير، يبدو في الحقيقة أن سوء الفهم في استخدام المفاهيم هو أحد مصادر الصعوبات. ولقد وجهت عناية خاصة في بعض المجالات الحديثة لتطوير «أطر المفاهيم» في علم الاجتماع، وخاصة تلك التي قام بها تالكوت بارسونس وزملاؤه، حين اتجهوا إلى تعريف المفاهيم أكثر من استخدامها في التفسير، وهذه ولاشك خطوة إلى الوراء، إذا ما قورنت بأعمال دوركايم وماكس فيبر، حيث قدم كلاهما بعض المفاهيم وحدّدا معناها حينما حاولا تطوير نظريات تفسيرية.» **2**

عرف قاموس ويسترن **Webster** المفهوم بأنه «لفظ عام يعبر عن مجموعة متجانسة من الأشياء، وهو عبارة عن تجريد للواقع بما يسمح لنا بأن نعبر عن هذا الواقع من خلاله». كما عرف المصطلح بأنه «الوسيلة الرمزية التي يستعين بها الإنسان للتعبير عن المعاني، والأفكار المختلفة بغية توصيلها لغيره من الناس.» **3**

ويُعرف باللغة الإنجليزية باسم (**Concept**)، وهو عبارة عن جُملة تحتوي على مجموعة من الكلمات التي توضح معنى شيء معين، ويعرف أيضا بأنه مجموعة الأفكار، والآراء المرتبطة بشيء ما، والتي تهدف إلى المساعدة في جعلها مفهومة بشكل أكثر وضوحاً، ويعمل على وضع المفاهيم أصحاب الاختصاصات، والدراسات بالاعتماد على تحليل مجموعة من الأسس، والمعلومات حول موضوع ما، من أجل المساهمة في توضيح العديد من المفاهيم المرتبطة به. **3**

إن المفهوم إذن تعبير عن أشياء متجانسة، دون أن يعني شيئا واحدا؛ فهو عبارة عن وصف تجريدي لوقائع ملحوظة، ولكنه لا يتحدث عن واقعة بعينها. مثلا عندما نقول نظام سياسي، فنحن هنا نقصد أي نظام سياسي دون تحديد، هل هو نظام رئاسي أو نيابي، ملكي أو جمهوري، ديمقراطي أم ديكتاتوري، عادل أم ظالم؟ الخ. فمفهوم نظام سياسي مع أنه متفق على معناه العام، إلا أن كل شخص يملك تصورا ذهنيا خاصا عن شكل هذا النظام السياسي، وعليه، فإن لم يحدد الباحث الذي يستعمل هذا المفهوم منذ البداية أي من الأنظمة السياسية يعني، فإنه يخلق إرباكا عند القارئ يؤثر على عملية البحث بمجملها. أيضا إذا أراد باحث مثلا أن يبحث في موضوع (المتقنون والتحويلات الاجتماعية في العالم العربي)، فعليه أن يحدد ماذا يقصد بـ «المتقنون»، هل المتقف هو من يعرف القراءة والكتابة؟ وهذا تفسير واسع لمفهوم (متقف) لأنه قد يشمل **70%** من عدد

سكان بعض المجتمعات، أم أن المثقف هو من يحمل شهادة جامعية؟ أم أن المثقف هو من يشارك في إنتاج ثقافة المجتمع؟ ثم على الباحث أن يحدّد ماذا يقصد بالتحوّلات الاجتماعية، هل يقصد التغيير الاجتماعي الإصلاحي ضمن قواعد الشرعية القائمة؟ أم يقصد الثورات العنيفة في المجتمع؟**4** خصائص المفهوم

يتميز المفهوم بمجموعة من الخصائص، وهي:

- تعتبر قليلة العدد، أي أنها ترتبط بمواضيع معينة ضمن مجالٍ دراسي محدد، لذلك لكل موضوعٍ ما، مجموعة من المفاهيم الخاصة به.
- تعتمد على الاستنتاجات، أي أنه من الممكن استنتاج المفهوم بالاعتماد على دراساتٍ حالية، أو سابقة، أو من خلال الخبرة، والمعلومات التي تتوافر عند الباحث بعد دراسته للمفاهيم دراسةً كافيةً.
- لا يمكن تغييرها بسهولة، أي أن المفهوم يظل ثابتاً لفترةٍ زمنيةٍ طويلة، ولا يمكن تعديله، أو تحديثه إلا في حال ظهور استنتاجات، ونظريات جديدة لم تكن معروفةً في السابق.**5**

كيفية تحديد المفاهيم:

1- ربط المفهوم بالتعريفات السابقة له:
كلما أمكن ربط المفهوم العلمي بالتعريفات السابقة له أصبح من اليسير الوصول إلى تحديد دقيق لهذا المفهوم. ويكون ذلك عن طريق:

- 1- الرجوع إلى التعريفات السابقة والحالية للمفهوم.**
- 2- الوصول إلى المعنى المتفق عليه في أغلب التعريفات.**
- 3- تكوين تعريفاً مبدئياً يتضمن المعنى الذي تجمع عليه أغلب التعريفات.**
- 4- إخضاع التعريف للنقد على أوسع نطاق.**
- 5- إدخال تعديلات نهائية على التعريف على ضوء النقد الصحيح الذي تتلقاه.****6**

2- شروط المفهوم:

- 1- أن تتوفر فيه صفة الإيجاز.**
- 2- أن يعبر عن فكرة واحدة.**
- 3- أن تتوفر فيه صفة العمومية.**
- 4- أن يرتبط بالفكرة التي يعبر عنها.****7**

المصطلح

ويعرف باللغة الإنجليزية باسم (Term)، وهو عبارة عن اتفاق لغوي بناءً على صيغةٍ محددة يتم بين مجموعة من الأفراد المتخصصين بعلمٍ معين، ويعرف أيضاً بأنه الوصف اللغوي الثابت لشيءٍ ما، والذي يساهم في توضيح معناه، ويصبح مألوفاً بين مجموعة من الأشخاص في مجالٍ تعد المصطلحات من التراكيب اللغوية المنتشرة في العديد من اللغات حول العالم، وتساهم في بناء الأسس اللغوية لكل لغةٍ محكية، ومعروفةٍ بين

الشعوب المختلفة، لذلك تساعد المصطلحات على توفير وصفٍ دقيقٍ، ومناسبٍ لمجموعة من المفاهيم المشتركة بين الأفراد في مجتمعٍ ما، أو ثقافةٍ معينة. 8

تعد المصطلحات من التراكيب اللغوية المنتشرة في العديد من اللغات حول العالم، وتساهم في بناء الأسس اللغوية لكل لغةٍ محكيةٍ، ومعروفةٍ بين الشعوب المختلفة، لذلك تساعد المصطلحات على توفير وصفٍ دقيقٍ، ومناسبٍ لمجموعة من المفاهيم المشتركة بين الأفراد في مجتمعٍ ما، أو ثقافةٍ معينة. 9

خصائص المصطلح

يتميز المصطلح بمجموعة من الخصائص، وهي:

- وسيلةٌ لتعريف المفهوم، أي أنه يساهم في شرح، وتوضيح معنى المفاهيم بشكلٍ دقيقٍ وصحيحٍ متناسبٍ مع الموضوعات المرتبطة بها.
- ترتبط بالبيئة التي ظهرت فيها، أي أن كل مصطلح اعتمد على مجموعة من العوامل البيئية التي ساهمت في ظهوره، ليتحول مع الوقت لجزءٍ من أجزاء الحياة العامة عند الأفراد.
- يستخدم لتوضيح المعاني، أي أن المصطلحات تعمل على شرح المعاني المرتبطة بها، لذلك يتم جمع المصطلحات الخاصة بلغةٍ معينة في كتاب، حتى يتمكن الأفراد من الرجوع إليها، ويطلق على هذا الكتاب مسمى المُعجم. 10

الفرق بين المفهوم والمصطلح

توجد العديد من الفروقات بين كل من المفهوم، والمصطلح، وهي: 11

الفروقات	المفهوم	المصطلح
التركيز	يركز على الاستنتاجات الفكرية التي تم الوصول إليها .	يركز على المعاني اللفظية، ويحرص على توضيحها ليسهل فهمها .
الاتفاق	ليس بالضرورة أن يتفق الباحثون في مجال معين على مفهومٍ واحدٍ مرتبطٍ به .	يتفق كافة الأفراد على تعريف المصطلح، ويصبح من الأمور المعروفة، والمتداولة ضمن المجال الخاص فيه .
التوثيق	يتم الاحتفاظ بالمفاهيم في المؤلفات الخاصة بالأفراد الذين عملوا على صياغتها .	يتم الاحتفاظ بالمصطلحات في مؤلفات تعتبر من المراجع اللغوية المهمة، مثل: المعاجم .

الخلاصة :

- يقول الفرّا (لعلّ من الواجب على الباحث الالتزام به هو تحديد معنى كلّ مفهوم يستخدمه في بحثه إلى جانب قيامه بتعريف المصطلحات العلميّة التي يستعين بها في تحليلاته، لأنّ مثل هذا وذاك خدمة له ولقرّائه، إذ يتمكّن بذلك من التعبير عمّا يريد قوله بطريقة واضحة وسليمة بحيث لا ينشأ بعدها جدلٌ حول ما يعنيه بهذه المفاهيم أو يقصده من تلك المصطلحات الفنيّة والعلميّة، وكثيراً ما يكون أساس الجدل والاختلاف في الرأي نتيجة لعدم وضوح الباحث فيما يرمي إليه

من مفاهيم وتعابير ممّا قد يترتّب عليه فهمٌ خاطئٌ لهذا الباحث، والمفهوم هو الوسيلة الرمزيّة التي يستعين بها الإنسان للتعبير عن الأفكار والمعاني المختلفة بغية توصيلها للناس، والمصطلحات هي أدوات تحصر المفاهيم وتقلّصها وتحدّدها.

المراجع :

- (1) زيدان عبد الباقي , قواعد البحث الاجتماعي , دار الشروق , القاهرة , 2013 , ص 97
- (2) Madeleine Grawitz , 1999 les Méthodes en sciences sociales , E Dalloz
- (3) Maurice Reuchlin , 1998, les méthodes en psychologies , Blue star editeurs Paris ,
- (4) Edward Sampson , social psychology and contemporary society , 2010 , Johnson publishers, Paris
- (5) موقع الانترنت بتاريخ 12.03.2018
- (6) موقع الانترنت بتاريخ 12.03.2018
- (7) موقع الانترنت بتاريخ 12.03.2018
- (8) موقع الانترنت بتاريخ 12.03.2018
- (9) موقع الانترنت بتاريخ 12.03.2018
- (10) موقع الانترنت بتاريخ 12.03.2018
- (11) موقع الانترنت بتاريخ 12.03.2018